مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) المجلد ٢٧ (٨)، ٢٠١٣

القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف ـ قراءة أسلوبية

The Story Drama in the Hadith - Stylistic Reading

أسماء الخطاب*، وعلي يونس

Asma'a Al-Khatab & Ali Younis

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق

*الباحث الرئيسي: بريد الكتروني: dra_alkhatab@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٢/١٠/١٨)، تاريخ القبول: (٢٠١٣/٣/١٧)

ملخص

القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطا إسلوبيا لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان، فكانت الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه أقوى في المشبه به من المشبه، فضلا عن قيامها على التشخيص العياني المعتمد على التقديم الحسي للصور الذهنية، والذي من شأنه إثارة نوع من التوكيد في نفس المتلقي، فضلا عن تزويده بالقدرة الحقيقة لإثارة انفعالاته. وإيراد الحديث النبوي الشريف على هذا النمط القصصي في سياق لغوي إبلاغي هو الذي يبث الحياة في الصورة التشبيهية ويضفي عليها لوناً من الحيوية ويعمق إيحاءاتها إذ لم نلمس صوراً تشبيهية مركبة تنحو نحو المبالغات العقلية الذهنية، بل لمسنا تركيبا بسيطاً انيقاً- إن صح تعبيرنا – يمكنه توليد إيحاءات لم تأت لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين كلامهم وتحسينه وإنما جاءت لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صور مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أنه أسلوب من أساليب التربية يحثّ النفوس على فعل الخير، ويحضّها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والاثم وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، وهذا يوازي في قيمته المعرفية المعرفة التي يقدمها البرهان، وتقدمها المعرفة الظنية التي يحققها الجدل، والمعرفة الاقناعية التي تملكها الخطابة، فهو (المثل / القصة) يسعى إلى حمل المتلقي إلى طلب الشيء الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له.

Abstract

Scenic story in Hadith was used as a stylistic way to serve, explain and approximate the similar to minds, so the comprehensive feature between the two similar sides was stronger in the similar than the

identical one, besides diagnosing the sensible presentation of the mental image, which excites a type of certainty for the receiver, also giving him the real ability to excite his emotions. Mentioning Hadith as a story with linguistic and eloquent context spreads life in the comparative image and gives it vitality and increases its inspirations, where we did not find a complex comparative image but we find a beau and simple structure. Also this style is considered as type of education, it prompts the spirit to good and virtue, and keeps it from wrongdoing in the same time. It gives mind the right thinking and the sound logic measurement. So, the story tries to make the receiver for ask the thing or keeping away from it, or trending it or disliking it.

مدخل

كل نص نبوي بعامة وقصصي بخاصة هو بشكل ما (بلاغة) أي أنه يمتلك وظيفة تأثيرية، وبهذا الوصف تمثل البلاغة منهجاً للفهم النصي للقصة مرجعه التأثير، فتفتح البلاغة النبوية مجال الترابط بين النص والفعل، بين اللغة وأفعالها، بدءاً من تفاعل الرسول (ﷺ) مع نصه والأثر المنعكس للنص عليه ففهم النص هو تطبيقه على أنفسنا بالأساس، وعليه فكل نص نبوي يمتلك القابلية للتحول إلى فعل لأنه مبني بالأساس على قوة، فإذا كانت هذه القوة والإمكانية محايثة لعمل النص في تحوله إلى فعل أمكن القول حينها ان البلاغة هي قوة اللغة وجوهرها، وهذا متحقق في بلاغته (ﷺ) التي هي ملكة من ملكات الخلق والتكوين، ووضع من أوضاع النسب والنشأة، ووجه من وجوه الأداء والتبليغ في رسالة كانت معجزتها (بياناً) يتلى.

فالخطاب النبوي القصصي متعدد الأبعاد:

- البعد الديني
- البعد التعليمي التربوي
- البعد الحجاجي
- البعد الجمالي

وهو في تحقيق هذه الأبعاد خطاب مركب، إذ لا تنفصل غاية عن أخرى، وصياغة ما يحقق البعد التعليمي ينطوي في الوقت نفسه على البعد الديني، كما ينطوي على البعد الجمالي ولا ينفصل عن البعد الحجاجي.

ولكن على الرغم من غاية البعدين الحجاجي والجمالي فإنهما دون مستوى غاية البعد الديني، لان البعد الحجاجي ليس غاية مطلقة ولكنه لا يلبث ان يتحول كما ذكرنا سابقاً إلى وسيلة

تمكينية، تتغير بدورها للتمكين من حقائق ذات وقع شديد في نفوس المتلقين على مختلف مستوياتهم، ثم ان البعد الجمالي لا يلبث ان يتخلى عن غايته ليتحول إلى وسيلة تسويفية تحقق بعداً تواصلياً.

فالقصة النبوية تجمع هذه الأبعاد جميعاً، والبحث في هذه الابعاد جمعاً أو فرادى بحث مشروع ومبرر معرفياً، بيد أن البحث في إحدى هذه الغايات على أنها الغاية التي ليس وراءها غاية يفتقر إلى المشروعية فيخطئ من يقارب النص القصصي النبوي بحثا عن الغاية الجمالية فقط لأنه بذلك يختزل النص إلى غاية امتاعية خالصة.

فالاستعمال النبوي الخاص للغة يتطلب من دارسي البلاغة التأهب لخصوصية في الرؤية تتناسب مع خصوصية هذا الخطاب النبوي الذي يبنى على متكأ سياقي يتعلق بعناصر سياقية تحكم عملية التواصل بين المخاطِب – الرسول (ﷺ) والمتلقي - إذ يستهدف (ﷺ) بالإقناع من يؤمنون به نبياً ورسولاً شاهدين وغائبين، فالسياق الذي يحكم طرفي الخطاب إنما هو سياق غاية في الصدق، ثم تأتي الصياغة بعد ذلك ليست من قبيل الإقناع بالحجة اللغوية الخالصة، لان اللغة تأتي هنا وسيلة لتمكين الحقيقة من نفس المتلقي، ومن هنا نقول بمغايرة بلاغة الخطاب النبوي لغيره من أنماط الخطاب بين البشر بعضهم البعض في دوافعه ووسائله وملابساته السياقية.

وعليه نستطيع أن نعرّف القصة النبوية بأنها: **ما حكاه الرسول (ﷺ) من أخبار عن الأمم السابقة أو أمور مستقبلية غيبية، مما يحقق الغاية من إيراد الحدث وإظهار النتائج، والتركيز على مواطن العبرة والعظة فيها، أي أنها حيز يتوافر على الشمولية والكلية في آثاره، ووجود بداية ونهاية للحدث ووحدة الحدث والشخصيات من فعل ومعنى في وحدة متجانسة لا تقبل التجزئة**. فهي أداء ينشط الحس الجمالي ويكيف السلوك مع الواقع عن طريق تفعيل الجهاز الرمزي الجماعي وبناء المنظومة الثقافية للقيم والبناء المعرفي، وهي تستدعي عند المتلقي العربي معارف موسوعته تغذيها حصيلة التجارب اليومية في عملية اتصالية جدلية بين القص والاستماع[(١)].

القصة التمثيلية

يرتبط المثل بالبلاغة ارتباطاً وثيقاً فهما يقومان على علاقة الجزء بالكل والعموم بالخصوص أي علاقة (التضمن واللزوم) فخصائص المثل هي نفسها خصائص البلاغة من حيث (إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه). وهما ما جعل المثل: صورة بلاغية قصصية تنبني فيها العبارة على التمثيل بالدرجة الأساس، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، أو ما يسمى بالتشبيهات التمثيلية[(٢)]، والتمثيل من التشبيه إلا أنه بغير آلته وعلى غير أسلوبه، فكل

(١) (خواجه، ٢٠٠٧، ص١٥٠).
(٢) (الغزالي، ٢٠٠٥، ص٢٨٩).

تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا[١]، وبما أن كل تمثيل يتألف بالضرورة من طرفين متشابهين – المشبه ، المشبه به - يجمعهما وجه شبه، فالعلاقة بينهما ليست فقط على مستوى البنية – إذ كلاهما يتألف من طرفين وجامع – بل على مستوى الوظيفة المعرفية لأن وظيفة كل منهما المقاربة، مقاربة طرفين بعضهما ببعض[٢]، وهذه العلاقة تكون جدلية بين التراكيب المكونة له، تلك العلاقة القائمة على الوعي والقصد، وقائمة على مبدأ التحفيز أي تحفيز المتلقي لإثارته للتعرف على مجهول بوساطة الإدراك العقلي للوصول إلى الدلالة المركزية للنص.

وعليه فإن التمثيل قائم على عملية تعاقد[٣]، بين المشبه والمشبه به، فالمشبه هو الغائب ظاهرياً عن بنية القصة، والمشبه به هو الظاهر فيها، ولا يتم التوصل إلى بنية (المثل/ القصة) إلا بعد تحقق الترابط بين بنيتي المشبه والمشبه به، فكل تمثيل يتألف بالضرورة من طرفين متشابهين يجمعهما وجه شبه، إذ يساعد المشبه به الظاهر في الكشف عن بعض سمات المشبه لذلك تم وصف (المثل/ القصة) بأنه "تشبيه الأمر المجهول بالمعلوم والخفي بالجلي، ليزداد المعنى إيضاحا وتكشف فيه غرابة الأمر وإيهام المعنى ولو في بعض الوجوه"[٤] ولا يمكن فهم الغرض من التمثيل من دون ملاحظته في تركيبة النص لأن هذه التركيبة توحي بالوظيفة الإثارية له ولذلك اقترنت البراعة فيه بالتفطن إلى العلاقات الخفية الرابطة بين عناصر موجودات النص[٥]،مما يولّد علاقات مختلفة موحية للمتلقي بإثارات فنية ونفسية، وبهذا تغدو القصة التمثيلية دعوة لولوج المتلقي إلى ما ورائيات الأشياء، وكسب الظلال الإيحائية التي يبنيها النص، لأن الفكر – فكر المتلقي – يعمل في التمثيل بالتأمل والتدبر واقتناص الدلالات، فضلا عن كونه يقدم عدة قراءات تبعاً لاختلاف ثقافة المتلقي وفهمه لدوال النص وهنا يأتي دور القارئ في مواجهة النص والكشف عن دلالته من خلال إيجاد الاتفاق والاشتراك بين (المشبه/ المشبه به) وإدراك مصدر ماهيتهما، ومن ثم إيجاد الغرض من ذلك أي تحقيق التواصل بين أطراف الحدث الكلامي[٦]، وكل ذلك يقوم على ضرب من التأول[٧]، الذي يسعى إلى تحديد معنى النص وسبر غوره للوصول إلى الدلالات الخفية فمهمة التأويل تحقيق فاعلية التخيّل في الواقع لربط المعنى بشرط تحققه[٨]، وبذلك يتحول التمثيل في القصة إلى الة لنسج خيوط الخطاب فيغدو الخطاب التمثيلي سلسلة من العناصر المترابطة التي ترسم الشكل الدلالي للنص، بل أن التمثيل يعد أداة لتماسك النص وانسجامه، فتمثيل حقيقةٍ ما يعني إعادة صياغتها وتشكيلها تشكيلاً جماليا مؤثراً.

---

(١) (الجرجاني، د.ت، ص٨٤).
(٢) (الجابري، ٢٠٠٠، ص٢٤٣- ٢٤٤).
(٣) (الرماني، ١٩٧٨، ص٨٠).
(٤) (العايش، ١٩٨٥، ص٧١).
(٥) (عيد، د.ت، ص١٧٥).
(٦) (سعد الله، ١٩٩٩، ص٧٢).
(٧) (الجرجاني، د.ت، ص٨١).
(٨) (الجهاد، ٢٠٠٧، ص١٥).

وإيراد الحديث النبوي الشريف على شكل هذا النمط القصصي في سياق لغوي إبلاغي هو الذي يبث الحياة في الصورة التشبيهية ويضفي عليها لوناً من الحيوية ويعمق إيحاءاتها إذ لم نلمس صوراً تشبيهية مركبة تنحو نحو المبالغات العقلية الذهنية، بل لمسنا تركيبا بسيطاً أنيقاً- إن صح تعبيرنا – يمكنه توليد إيحاءات لم تأت لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين كلامهم وتحسينه وإنما جاءت لهدف أسمى وهو إبراز المعاني في صور مجسمة لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أنه أسلوب من أساليب التربية يحثّ النفوس على فعل الخير، ويحضّها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والإثم وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، وهذا يوازي في قيمته المعرفية المعرفة التي يقدمها البرهان، وتقدمها المعرفة الظنية التي يحققها الجدل، والمعرفة الإقناعية التي تملكها الخطابة، فهو (المثل / القصة) يسعى إلى حمل المتلقي إلى طلب الشيء الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له، لأجل ذلك ضرب الرسول (ﷺ) طائفة من الأمثال في قضايا مختلفة وفي مواطن متعددة وقد جاءت هذه الأمثال على ثلاثة أنواع[(١)]:

١. **الأمثال المرسلة:** وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه كقوله (ﷺ) عن أبي هُرَيَرَة (ﷺ) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ (ﷺ) يَقُوْلُ: ((**يَدْخُلُ الجَنةَ مِنْ أمَتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ الفاً تُضِّيء وُجُوهُهم إضَاءة القمَر ليْلةَ البَدر)) وَقالَ أبُو هُرَيْرَةَ: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرةً عليهِ، فقالَ : يا رسُولَ الله ادّع الله أنْ يجعلني منهمْ . قالَ ((اللّهُمَ اجْعَلْه مِنْهم)) . ثمَ قامَ رجل من الأنصار، فقالَ: يا رسولَ اللهِ ادّعُ اللّهَ أنْ يجعلِني منهمَ، فقال: ((سَبَقَكَ بِهاَ عُكاشةُ)) (متفق عليه)** [(٢)] وهذه العبارة صارت مثلا يضرب.
٢. **الأمثال الكامنة:** وهي التي لم يصرح بلفظ (مَثَل) فيها، ولكونها تدل على معان رائعة في الايجاز يكون لها وقعها إذا نُقِلتْ إلى ما يشبهها كقوله (ﷺ) عن أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ) : ((**لا يُلدغُ المُؤمِنُ مِنْ جحرٍ واحدٍ مرّتَين**)) [(٣)].
٣. **الأمثال الظاهرة:** وهي ما صرّح بلفظ مَثَل أو ما يدل على التشبيه وهي على نوعين:

أ. **الأمثال التي لا تأخذ الطابع القصصي:** كقوله (ﷺ) عن أبي موسى الأشعري (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): ((**مَثَلُ الذي يذكرُ رَبّه والذي لا يَذكُرُ رَبّهُ كَمَثَلَ الحَيّ والمَيَّتِ**)) [(٤)].

ب. **الأمثال القصصية**: وهي أمثال ضربها الرسول (ﷺ) على شكل قصص قصيرة وقصها الرسول (ﷺ) على المسلمين للعظة والعبرة والدعوة، إذ لا يخلو مثل هذه

(١) (حمزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٧).
(٢) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢٢٧). (كتاب الرقائق، باب يدخل الجنة سبعون ألف بغير حساب، رقم الحديث (٦٥٤٢).
(٣) (نفسه، ص١١٥٩). (كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن، رقم الحديث (٦١٣٣).
(٤) (نفسه ، ص١٢٠٥). (كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله، رقم الحديث (٦٤٠٧).

الأمثال من عناصر القصة المعروفة من أحداث وشخصيات وحوار وبيئة، وهذا أمر طبيعي ما دامت قد صيغت على شكل أقاصيص قصيرة ففيها تتوافر أغلب دعائم القصة إن لم يكن جميعها[١]، وهذا النمط هو الذي يدخل ضمن دراستنا عن القصص التمثيلي فالرسول (ﷺ) يقول في مطلع كل قصة من هذه القصص وهو يطرح الفكرة الذهنية (مَثل كذا كمَثل كذا....) وهذا يعني أن الرسول (ﷺ) ينشىء هذه القصص ابتداء ليعرض من خلالها الفكرة في صورة مجسمة، وهذا التمثيل في الوقت الذي يجسم الفكرة في واقع عملي نستطيع أن نتصوره وأن ندركه من خلال حركة القصة فإنه أيضاً يضيف إلى إحساسنا الذهني إحساسا شعوريا يتغلغل في نفوسنا من جراء جو القصة وما توحي به مواقفها من عواطف وانفعالات[٢].

ولعل من تمام الحديث عن القصص التمثيلي النبوي أن نبين الأشكال البلاغية التي وردت بها، فقد بُنِيَ المعنى في أكثر الأحاديث التمثيلية القصصية على هيئات أسلوبية متشابهة تظهر واضحة في تمثيله (ﷺ):

- فقد يأتي المشبه مبهما لا يتضح في الكلام فتأتي صورة المشبه به لتوضيحه كما في قوله (ﷺ): على سبيل المثال لا الحصر.

(مَثلُ ما بَعثَنَي اللهُ بهِ مِنْ الهَدى والعَلم كمثلِ الغيثِ...)

(مَثلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ والْواقع فِيَها، كَمثلِ قوْمٍ استَهَمُوا عَلَى سَفِينةٍ....)

(إنّما مَثلي ومَثلُ النّاس، كَمَثلِ رَجُلٍ اسْتَوقَدَ نَاراً،...)

وهذا النوع يأتي التمثيل به بـ (مَثل) في الأكثر وتكون صورة (المشبه به) قصة تحكى، ولهذا قلنا أن المشبه مبهم وما يوضّحه هو القصة التي بعدها.

- دخول لفظ (مَثل) على الطرفين – المشبه والمشبه به نحو:

(مَثل..... كمَثل...)

ودخول (الكاف) على (مَثل) الداخلة على المشبه به نحو:

(مثلي ومَثل ....كمَثل.....)

فتأتي الصورة التمثيلية في هذه الأنساق متعددة الدلالة في طرفيها، فالتمثيل بذلك يتمتع بالقابلية على رسم الصورة التي تتألف من طرفين هما: "المعنى واللفظ والإبداع يكمن في

(١) (الصباغ، ١٩٨٢، ص١٠٤).
(٢) (نقرة، ١٩٧٤، ص٢٤٦ – ٢٤٨).

التعادلية بين الطرفين، فلا زيادة ولا نقصان، لا يفضل المعنى على لفظه شيئا ولا اللفظ على المعنى، والصورة – المتكونة في القصة – تسير بين الأفئدة بعبق ألفاظها ومعانيها" [١].

وقد وظف هذا النوع من القصص توظيفا دينيا وفنياً بوقت واحد فـ "الاستخدام الديني متمثل بالتعلق بنتائج هذا التمثيل فيما يؤثره في النفس الإنسانية رغبة في الوعد الحسن، والثواب الجزيل والجزاء الأوفى، الذي لا حدود لا فاضته ، أو رهبة من المصير المرعب الذي ينتظر أصحاب المعاصي.... والاستخدام الفني وهو يضفي على المناخ الديني بمجيء زيادة في الإيضاح وعمدة في التصوير حتى يعود المتخيل محققاً، والمستبعد قريباً، والخفي واضحاً وذلك بإضفاء الصفات المتعددة على الشيء الواحد، بغية التطلع إلى مجموعة جديدة من الهيئات المركبة المتداخلة التي امتزجت وكأنها صورة واحدة وهي عدّة صور"[٢].

نماذج تطبيقية

قصة النذير العريان

عن أبي موسى الأشعري (ﷺ) عن النبي (ﷺ) قال : ((إنّما مَثَلي ومَثَل ما بَعَثَنيَ اللهُ بهِ كمثل رَجُلٍ أتى قوماً فقالَ: ياقوم إنّي رأيتُ الجَيَشَ بعيني وإنّي أنَا النّذيرُ العُريَانُ فالنّجاءَ النّجاءَ فأطَاعَتَهُ طائفةٌ من قومِه فأدلجوا فانْطلقوا على مَهْلِهم فَنَجَوا وكذّبتْ طائفةٌ مِنهُمْ فأصْبَحُوا مَكَانَهم فصَبّحَهُمْ الجّيشُ فأهْلَكَهُمْ واجْتاحَهُمْ فذَلكَ مَثَلُ مَنْ أطاعَنَي فأتَّبَعَ مَا جِئْتُ بهِ ومَثَلُ مَنْ عَصَاَنِي وكذّبَ بما جِئْتُ بهِ مِن الحقّ))[٣].

فالتشبيه التمثيلي في الحديث الشريف يجسد لنا صورة حية لحاله عليه الصلاة والسلام في الإنذار ولأحوال السامعين لإنذاره، إذ شبه نفسه مع قومه بصورة (النذير العريان) الذي تجرد دلالة على قرب الخطر، فجعل يهتف فيهم بالجملة التي اعتادوها عند وقوع أمر جلل (النجاء النجاء) بجامع صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدّق، وهلك وخسر من كذب، وهذا بخلاف التمثيل في الحديث الأول فإن ذلك بالنسبة إلى تحصيل العلم والانتفاع به، والى الإعراض عنه فهما مثلان مختلفان[٤]، فمع الابتداء بالنبرة التقريرية بـ ((إنّ)) التي دخلت على الخبر احتفاء به إذ أراد الرسول (ﷺ) إشعار قومه بأهمية هذا الأمر فأكد بها وبالضمير وبإضافة ((مثل)) إليه (ﷺ) ثم كررها في المشبه إشارة إلى الفارق بين صفته (ﷺ) التي بعث بها رحمة للبشر، وبين صفة العذاب الأليم، ومع وجود الاسم الموصول المبهم ((**ما**)) الذي جاء للدلالة على عظم الأمر الذي بعث منذراً به وجلاله وإبهامه هذا يدل على عظم خطره وفي قوله: ((**ما بعثني**)) العائد محذوف والتقدير بعثني الله به إليكم وفي تنكير ((**قوماً**)) دلالة على الشيوع[٥]،

(١) (الصائغ واخرون، ١٩٨٥، ص٢٦٥).
(٢) (الصغير، ١٩٨٦، ص٧٣).
(٣) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢١٨).(كتاب الرقائق- باب الانتهاء عن المعاصي رقم الحديث (٦٤٨٢).
(٤) (القرطبي، ٢٠٠٥، ج٣، ٩٣٣).
(٥) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج١١، ص٣١٦).

كل ذلك شكل متوالية خطابية قائمة على خلفية ضمنية من الإشارات المشتركة بين المتلقي والنص، ومثل هذا الاستهلال يمثل الجزء التكثيفي في القصة لتأتي بعده القاعدة التفصيلية للبؤرة المركزية فيها، وهي بؤرة تواليدّية فكل جملة تنتج ما بعدها، ولا ريب في أن ما يقوي اثر الواقع في المطلع هو أن الرسول (ﷺ) وهو السارد لايباشر وظيفة الحكي بل يتجاوز ذلك مستعملا ضمير المتكلم إلى سارد داخلي – حكائي وقد خولته هذه الصفة بتبئير السرد على ذاته دون سواه من الشخصيات أو الأماكن والأزمنة، متخذا من نفسه وما بعث به بؤرة لخطابه، نافذا إلى مراده من خلال قصة (النذير العريان) والنذير العريان مثل سائر عند العرب يضرب لشدة الأمر ودنوا المحذور وبراءة المحذر من التهمة. وقد كثرت روايات هذه القصة واختلف في تحديد أصلها(١). وهذه الكثرة تدل على أن الحقيقة الأولى غابت مع الزمن وبقي مدلولها الذي يعني الإنذار الصريح، والرسول (ﷺ) حين شبه بها بث فيها الحياة، وألبسها معاني إسلامية جديدة اقترنت بها، فهو (ﷺ) على علم بأحوال البيئة العربية من عادات ومعتقدات وأخبار، كيف لا وهو من أعرق بطون العرب وأعرفهم، وهذا ما عبر عنه أبن حجر بقوله: ضرب النبي (ﷺ) لنفسه ولماء جاء به مثلا بذلك لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه(٢).

وبذلك أصبح المتلقي منجذبا إلى الأنا المتلفظة والى الرسالة المرسلة من الرسول (ﷺ) إليه وبالتالي يتحقق التواصل بين النص والمتلقي فتؤلف هذه الإجراءات بلاغة نصية تتكفل مباشرة بالجواب عن أسئلة النص المحورية:

ـ ما الذي جاء به النذير العريان ؟ ما الحدث ؟ ومن يفعله ؟ أين يقع ؟ ومتى سيقع ؟ لنبدأ أولا بصورة النذير العريان مع قومه، ولنتأمل منطقه وهو يتحدث إلى قومه وهنا يستخدم الحوار جنباً إلى جنب مع السرد بل جاء جزءا منه ومتمماً له، فالحوار على لسان النذير العريان مع قومه جسّد لنا الحدث وتطوره إذ جعله حاضراً مشخصاً فالحوار في القصة النبوية يعمل على تدعيم البنية القصصية، وإعطاء السرد نوعاً من الحيوية والإثارة فضلاً عن كونه أداة الشخصيات في التعبير عن أفكارها وآرائها. والحوار على لسان النذير العريان جاء مطابقاً لشخصيته، إذ شكل مفتاحاً للوصول إلى جوهر الحدث وصدق ما جاء به، فمن خلال المؤكدات التي ساقها في جملة المثل:

أولها: قوله: ((ياقومِ إنّي رأيتُ الجَيْشَ بعيني))

أكد أمر رؤيته بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ((**إني رأيت**)) وما يقتضيه ذلك من تقوية للمعنى وتقرير حصول الرؤية منه، وجاء التعبير عن رؤية الغارة بالفعل الماضي ((**رأيت**)) تنبيها للنفوس وإيقاظاً من غفلتها وتحقيقا لرؤية الجيش، منذراً بالهلاك المؤكد.

(١) (الميداني، ١٩٨٥، ج١، ص٤٨-٤٩).
(٢) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج١١، ص٣١٧).

ثانيها: الإشارة إلى أداة الرؤية (العين) لتصديق الخبر بشاهد لا ترد شهادته

فالرؤية لا تكون إلا بالعين، وإضافة العين إلى ضمير المتكلم فيه زيادة لا تلزم لغير هذا المقصد وهي تعلق الرؤية بأداتها، والعين تمتلك القدرة على الوصف العميق وإبداء الرأي، فعن طريقها نقل النذير صورة الجيش المرعبة بإشارته إلى عينيه اللتين غدت عند المتلقين أداة لرسم تلك الصورة في أذهانهم كأنهما نافذة يبصرون من خلالها الجيش المعهود عندهم [١].

ثالثها: سُبِقتْ جملة المثل بالنداء بقوله: ((يا قوم أني رأيت...))

للفت الانتباه والإشارة إلى ما أراد قوله ثم عطف عليها جملة ((**واني أنا النذير العريان**)) مؤكداً بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت و((**إن**)) الداخلة عليها وتكرار الضمير، والتعريف في ((**أني أنا النذير..**)) إختصاص وقصر للنذير العريان عليه (ﷺ) وبهذا القصر كأنه (ﷺ) يعيد إلى الوجدان هذه القصة ويشير إلى أنه الأحق بها من صاحبها الأول، فالرسول أورد كلامه عن نفسه في أثناء كلام النذير العريان، فكأنه كلم الناس بنفسه وفي ذلك "إشارة إلى تعظيم الهول وكأن الهول الذي أنذر به الأول لم يكن هولاً بالنسبة إلى ما ينذرهم به، وكأن الوصف الحقيقي للنذير العريان يجب أن يكون له (ﷺ) ولا يزاحمه فيه أحد"[٢] وقد تحقق القوم قديما من صدق (النذير العريان) فيما أنذر وكانت صفة (العريان) صرخة في وجه المكذبين، فالعري: خلو ظاهر الجسم عما يقيه من كل شيء يؤذيه كلفح حرٍ أو قرص برد...الخ [٣]، فهو يدل على التجرد والخلو[٤]، وقد يسأل سائل إذا كان هذا مدلول (العري) كيف وظفه الرسول (ﷺ) ونسبه كصفة له بعدّه صفة من صفات المشبه به الذي جاء متعدداً ما بين الإنذار والعري ؟ إن الجسد هنا ليس مجرد رزمة من الأعضاء ولا سيلاً من الوظائف بل تحول الجسد العاري إلى دال ينبثق عنه مدلولات ذات أبعاد عميقة فـ (الدال) النذير العريان لا يوحي بالهيئة الحاصلة من ذاك الإنسان الذي قصده الرسول من حديثه، إنما قصد من هذا الدال مدلولات عدّة انطلاقا من الصفة الجامعة بين الرسول (المشبه) والنذير العريان (المشبه به) وبذلك سجل الجسم العريان حضورا جديداً ايجابيا لأن العري تحول إلى شفرة تنقل المتلقي إلى عالم المعنى فـ "الشفرة نسق من العلامات تتحكم في إنتاج الرسالة ليتحدد مدلولها بالرجوع إلى النسق نفسه، وإذا كان إنتاج الرسالة هو نوع من التشفير فإن تلقي هذه الرسالة وتحويلها إلى مدلول هو نوع من (فك الشفرة) عن طريق العودة بالرسالة إلى إطارها المرجعي في النسق الأساسي" [٥] فتحول العري إلى مدلول ايجابي إذ جاء دليلا على صدق النذير القاطع فيتنامى صدق الإنذار قوة بنسق التأكيدات (بعيني + إني أنا + العريان) لتعكس في نفس المتلقي فزعاً يدفعه إلى الهرب من الخطر المحدق به، ومما لا شك فيه أنّ صفات (النذير العريان) إشارات تضيء جوانب المشبه الرسول (ﷺ) فـ "الرسول

(١) (احمد، ١٩٩٨، ص٨٨).
(٢) (صالح، ٢٠١٠، ص٢٦٢).
(٣) (أبن منظور، ١٩٩٤، ج١٥، ص٤٤).
(٤) (أبن فارس، ١٩٧٩، ج٤، ص٢٩٥ – ٢٩٦).
(٥) (كريزويل، ١٩٨٥، ص٢٦٦).

رأى مواطن الخطر وأخبر بها، والنذير العريان إشارة إلى الحجة العقلية التي جاء يحملها عليه الصلاة السلام وهي حجة واضحة ساطعة تدل دلالة لا لبس فيها على انّه صادق أمين"(١)، ثم يعلو صوت النذير مؤكداً أمر صدقه بشتى وسائل التأثير فيقول: ((**النّجاء النّجاء**)) أي اطلبوا النجاء وهو منصوب على الإغراء وحذف الفعل هنا يقتضيه الموقف لأنه موقف سريع ومؤثر لا تؤثر فيه إلا الجمل المختصرة فشكّل الحذف إشارة بليغة إلى أن قضية الإنذار قضية جوهرية ومحور رئيس في البناء القصصي للحديث، وقد وظف المصدر ((**النجاء**)) لغرض تأكيد الأمر والمبالغة فيه ولاسيما بتكرار اللفظ، وكأنه لضيق الوقت وللتعجيل بالهروب قبل مداهمة الجيش استخدم المصدر بدل الفعل(٢).

وبعد أن بلّغ هذا النذير قومه وأنذرهم بأسلوب مؤثر ظهرت طبائع النفوس في استجابتها للدواعي، فقد انقسم القوم بعد إنذاره على قسمين:

- طائفة أطاعت فـ ((**ادلجوا**))........ فـ ((**نجوا**)).......
- وطائفة كذبت فـ ((**فأصبحوا**))....... فـ ((**اجتاحهم**)).....

فالطائفة الأولى صدّقت فور إنذارها وهذا ما تدل عليه ((**الفاء**)) في ((**فأطاعته**)) ((**فادلجوا**)) أي ساروا أول الليل فور إنذارهم حتى لا يدهمهم العدو، و(الفاء) تشير إلى ذلك وتربط السلوك ربطا محكماً مباشراً بالاعتقاد وكأنهم ما أن أطاعوه إلا ادلجوا، فالطاعة وحدها لا تنجي، بل يسبقها التصديق، والنجاة موقوفة على الطاعة لهذا قابل معنوياً بين (الطاعة) و(الكذب):

فالطاعة: "الانقياد وتقال في الائتمار لما أمر"(٣)، والكذب: "الأصل فيه في القول ولا يكون في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام"(٤) ويقابله الصدق: وهو "مطابقة القول بين الخبر والمخبر عنه معاً" (٥)، فيكون التقابل على المستوى التطبيقي:

---

(١) (صالح، ٢٠١٠، ص٢٦٣).
(٢) (شهاب، ١٩٩٥، ص٢٨).
(٣) (أبن منظور، ١٩٩٤، ج٨، ص٢٤٠).
(٤) (نفسه ، ج١، ص٧٠٤).
(٥) (نفسه ، ج١٠، ص١٩٣).

نظرياً: الطاعة ← تقابل : الكذب

عمليا: الصدق ← يقابل: الكذب ايضا .

ولدى اخذ الإمكانات الدلالية لكلمة (الطاعة) بالاعتبار نلحظ أن الكلمة المذكورة في أصلها بديل تعبيري لكلمة (الصدق) من خلال علاقة التضمن. لأن الطاعة تتضمن الائتمار لما أمر، وهي مسبوقة بالتصديق ، والتكذيب مستتبع للعصيان.

فالطائفة الأولى: صدّقت فور إنذارها فادلجوا صورة سريعة تتلاحق أفعالها عاكسة سرعة القوم في طلب النجاء، فكان هربهم ادلاجا في جوف الليل، فشبه الرسول (ﷺ) من أطاعه وتبعه واتبع ما جاء به واختار لنفسه أفضل طريق بحال من صدق ذلك النذير الذي حذرّه فنجا وسلم ماله وعرضه، ووجه الشبه بين الطرفين طاعة ترتّب عليها نجاة وفوز.

أما الطائفة الثانية: هي التي كذبت ورفضوا داعي التغيير وتشبثوا بماهم عليه، ووقفوا في مكانهم حتى أهلكوا وفي قوله: ((**كذّبت**)) بقطع المفعول إشارة إلى توفر الغرض على وقوع الفعل من الفاعل أي إثبات التكذيب لهم وإن هذا من شأنهم وكأنهم كذّبوا على غير تدبّر ومراجعة ونظر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الطائفة الأولى ((**فطاعته طائفة من قومه**))، وذكر الفعل متعديا إلى مفعول أي أن هذه الطائفة سمعته واستوعبت مقالته بخلاف الطائفة الثانية، فشبه عليه الصلاة والسلام من عصاه ولم يتبع ما جاء به واعرض عن هديه بحال أولئك الذين لم يصدّقوا ذلك النذير واستخفّوا أمره وأعرضوا عن نصحه ووجه الشبه التكذيب والإعراض الذي أعقبه الهلاك فجأة ((**فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم**))، ولا يخفى ما لغارة الصباح عند العرب من إثارة لمشاعر الفزع والهلع وهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح[(١)]، ففي هذا الوقت يكون الإنسان إما نائم أو قريب عهد بالنوم فهو الوقت الملائم للغارة وفي قوله: ((**فأصبحوا... فصبّحهم....**)) تناغم صوتي واضح من حيث التجانس الاشتقاقي وهذا النوع من الجناس يعد "أكثر أنواع الجناس اعتماداً على الجرس في تمييز المعنى الحادث باشتقاق اللفظ" [(٢)] فـ ((**أصبحوا**)) تهيء السياق لكلمة فـ ((**صبحّهم**)) فماداموا باقين في مكانهم فحين يصبحون سوف يجتاحهم الجيش صباحاً، ولن يبق منهم باقية وهذه نهاية العصيان.

فأفاد تركيب طرفي التقابل في إيجاد حتمية الاستجابة للنذير في المشبه به طلباً للأمن من اجتياح الجيش، وينعكس كل هذا في المشبه المركب إذ يوجه القوم إلى اتباع رسول الله (ﷺ) وإلا فالهلاك المحتوم، فكلما وجد نذيرٌ ينذر قومه بالغارة وجبتْ عليهم طاعته حتى ينجوا بأنفسهم[(٣)].

وفي القصة لفتة بلاغية تضمنها الأسلوب النبوي الرفيع، اذ آثر الرسول (ﷺ) في تعبيره الدقيق، أن يقول بجانب الطائفة التي تحقق لها النجاة: ((**أطاعته طائفة**)) على أن يقول: ((**صدقته**)) وآثر أن يقول بجانب الطائفة الأخرى: ((**كذبته**)) على أن يقول: (عصته) ولو أنه

---

(١) (أبن منظور، ١٩٩٤، ج٥، ص٣٤).
(٢) (الخطاب، ١٩٩٨، ص٢٠٧).
(٣) (أحمد، ١٩٩٨، ص٩٠).

عبر في الموضعين بصدقت وكذبت أو بأطاعته وعصته لكان في الحالين قد أتى بمحسن بديعي حيث ذكر لفظين متقابلين في المعنى لكن عمق المعنى وبعد المغزى الذي استهدفه رسول الله (ﷺ) في التعبير عن الطائفتين، كان أروع بياناً وأعظم بلاغة من المحسن البديعي الذي كان يتحقق بمجرد كلمتين متقابلتين.

ففي إيثار الرسول (ﷺ) كلمة ((**أطاعت**)) على كلمة (صدّقت) ما يفيد أن النجاة لا يكفى في تحققها مجرد التصديق بل لابد أن يقترن التصديق بالعمل والتطبيق كما أن في إيثار الرسول (ﷺ) كلمة ((**كذّبت**)) على كلمة (عصت)، ما يفيد أن استحقاق العقاب يكفي فيه مجرد التكذيب، إذ لو وجد من المكذب عمل ظاهري بشيء من الطاعات وقلبه مكذب لم يغن عنه ذلك العمل شيئا، كما هو شأن المنافق الذي يبطن خلاف ما يظهر، فما أروعه من أسلوب بلاغي رفيع أدى الغرض المقصود من التبليغ والتبيين بكلمات سهلة واضحة وعبارات جزلة أصيلة أتم وأوفى أداء.

فشكل التمثيل النبوي بالعبارات والجمل في هذه القصة نصّا متماسكاً، ففي الوقت الذي شرع فيه الرسول بالتلفظ يناظره شروع مسرود له بالتلقي يبدأ بتصور صورة لشخصيته التي شكلت إسناد الحدث من خلال عقد مقارنة بين المشبه والمشبه به فنتج بناء هرميا شدّ المتلقي إلى معرفة التفصيلات المتوالدة في النص إذ يفضي كلّ مقطع إلى الذي يليه حتى يتم النص مع تمام الإفهام والتأثير عارضاً من خلاله صورة فنية مشوبة بدلالات الترهيب تدفع بالمتلقي إلى الابتعاد عنها طالبا الأمن.

قصة الرجل الذي استوقد ناراً

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) يَقُولُ: ((إنّما مَثَلي ومَثَلُ النّاس، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوقدَ ناراً، فلّما أضاءتْ ما حَوْلَهُ، جَعَلَ الفَراشُ وهَذه الدّوابُ التي تَقَعُ في النّار، يَقَعْنَ فيها، فَجَعَل يَزَعُهُنَّ، ويَغْلِبنهُ فَيَقْتَحِمَنَ فيها، فأنا آخذٌ بحِجْزِكُمْ عَن النّار، وأنتم تقتَحِمونَ فِيها))[(١)].

فقد شبه عليه الصلاة والسلام حاله مع الناس في حرصه على نجاتهم ومبالغته في زجرهم عن الإقدام على المعاصي مع حرصهم الشديد على الوقوع فيها، معرضين عن النصح غير ملتفتين للمنذر الذي يبصّرهم بعاقبة إعراضهم شبه حالته هذه مع الناس بحال رجل أوقد ناراً، فانجذبت الفراشات والحشرات إليها فسعت إليها وألقت بنفسها فيها دون هوادة وتبصر، ولكن الرجل قد منحه الله العقل والرحمة والبصيرة، يعرف بنتيجة هذا التهور ونهايته لذلك يمنعها ويدفعها ويحول بينها وبين أن تلقي بنفسها، ولكن جهلها وحمقها يدفعها، واستهواء الضوء إياها يغريها فيسوقها إلى أن تلقي بنفسها إلى التهلكة غالبة من يمنعها منفلتة ممن يحول دون اندفاعها تشبيه في غاية الروعة جميع عناصره يوحي بعضها إلى بعض بمزيد من الصفات والدلالات التي تثري الصورة وتبعث فيها الحياة والحركة، فتمثيل حقيقة ما يعني إعادة صياغتها، فالقصة التمثيلية هي من جهة صورة ما ، ومن جهة ثانية إفراز لأثر نفسي يساعد على الاقتراب من

(١) (البخاري، ٢٠٠٢، ص١٢١٨) كتاب الرقائق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقمه (٦٤٨٣).

الحقيقة المراد إيصالها، بل إن إيراد أو عرض ما يراد إيصاله على شكل قصة تمثيلية يوازي في قيمته المعرفية، المعرفة التي يقدمها البرهان، فما تهدف إليه القصة التمثيلية في المقام الأول التأثير في المتلقي، وحمله إلى طلب الشيء الممثل به أو الهروب منه أو النزوع إليه أو الكراهة له، فضلا عن تحقيقها اللّذة والتخيّل والانفعال فطرف الصورة الأولى (المشبه) مركب من ((**مثلي ومثل الناس**))، وطرف الصورة الأخر (المشبه به) صورة الرجل المستوقد المعادلة للرسول (ﷺ) وهو تركيب من عدة دالات تشكلت نتيجة وجود علاقة جدلية بين التراكيب المكونة له، وهذه العلاقة قائمة على الوعي والقصد ومبدأ التحفيز، أي تحفيز المتلقي لإثارته للتعرف إلى صفات هذا الرجل المستوقد للنار بوساطة الإدراك العقلي للوصول إلى الدلالة المركزية في النص، وهي بيان حرصه عليه الصلاة والسلام على أمته ورحمته بها مع توضيح انجذاب وسرعة توجه الناس إلى المعاصي لما لها من بريق وتزيين وفي حقيقتها سم زعاف يسوق الى النار.

ولا يمكن الحديث عن الالتئام والالتحام بين مكونات أو أجزاء هذه الصورة مالم تُذكر أداة التشبيه (الكاف) التي وإن كانت تمثل الفاصل أو الحاجز بين طرفي الصورة(١) إلا أنها في الوقت نفسه من وسائل الاتصال بينهما، تقرب الأطراف المتشابهة بعضها من بعض وتعمل على عقد مقارنة بين طرفي التشبيه لإدراك أبعاد الصورة، وقد جمع بينها وبين ((**مثل**)) للدلالة على تشبيه الهيئات والأحوال تمثيلاً، إذ لو دخلت الكاف على ((**رجل**)) لتوهم بادئ الأمر مشبها به افراداً(٢) وابتداء النص بـ ((**إنّما**)) أفاد في قصر المشبه على المشبه به وهذا يزيد في قوة تدفق المعاني بينهما، وقد كرر لفظ ((**مثل**)) في طرف الصورة الأول (المشبه) الذي كان في اللفظ الأول مضافاً إلى ياء المتكلم التي تشير إلى نفسه الكريمة صلوات الله عليه، لان الصلة بينه وبين الناس (**من أمته**) أكيدة لا يعتريها الشك مطلقاً، كما أن تكرار لفظ ((**مثل**)) في طرف الصورة الثاني (المشبه به) إشارة إلى التفريق بين المثلين، وهكذا كان المشبه بإجماله وتركيبه تركيباً عقلياً، فتطلب نفس المتلقي بعد هذا التشبيه ذكر التفاصيل وإدخالها في نطاق الحواس، فضلا عن اندفاعها للبحث عن المقصور عليه وهو المشبه به الذي جاء مركبا حسيا في قوله ((**كمثل رجل استوقد ناراً**)) معبراً عن صورة متعددة الزوايا شائعة في حياة المتلقين بدلالة تنكير لفظة ((**رجل**)) الذي اقتصرت مهمته في القصة على القيام بالحدث، فمحور التركيز هنا هو على ما تؤديه هذه الشخصية – الرجل- من عمل وما تلتزمه من موقف تمثل بعملية الإيقاد. وفي كلمة ((**استوقد**)) دلالة على الوقت والجهد اللذين استنفذهما الرجل في طلب إيقاد النار بان يعالج إيقادها وسعى في تحصيل آلتها فانتشر الضوء حول الرجل المُستَوقِد انتشاراً شمل مساحة بصرية واسعة مركزها هذه النار، وبالمثل الرسول (ﷺ) قد بين أسباب الهداية حتى بلغت الأفاق بدلالة مضي الفعل ((**أضاءت**)) فمركزها دين الله فلا عذر لأحد، ثم تتحول هذه النار إلى صورة أخرى دالة على نار الآخرة، ويأتي جواب الشرط فعل شروع ((**جعل الفراش**)) فبمجرد ما أن أتت الإضاءة كان شروع الفراش في الوقوع في النار، وان في ارتباط جواب ((**لما**)) بشرطها

(١) (عصفور، ١٩٧٤، ص٢١٠).
(٢) (السيد، ١٩٧٣، ص١٥٧).

إشارة إلى ارتباط المسبب بالسبب في الوجود، وبالمثل حال العصاة حالما يرون المعاصي ينخدعون بلذتها ويرتكبونها، ولا يخفى ما في اختيار الفراش والجنادب للعصاة والمعرضين لما في هذه العناصر من الدلالة على الضعف والوهن وسرعة السقوط وعدم التحمل وصعوبة الرد، وفي لفظ الفراش إيحاءات في كلام العرب، فهم يتمثلون بها في الحمق والخفة لأنها تطرح نفسها في النار[١]، لأنها ضعيفة البصر، لذلك فهي حين ترى الضوء تعتقد أنه كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق، وقيل أنها تتضرر بشدة الضوء فتقصد إطفاءه ولشدة جهلها تورط نفسها فيما لاقدرة لها عليه [٢]، والفراش هم العصاة الذين ضلوا عن الجادة، فهم عمي البصيرة ضعاف النفوس أمام شهواتهم، وقد اقترن وصفهم بالفراش بوصف الدواب الذي سبق باسم الإشارة ((**هذه**)) استحضاراً لصورتها في خيال المتلقين، وتمييزها أحسن التمييز في موقف جعلها مشبها به، محققة من خلالها فائدة عموم نوعها، إشارة إلى تعدد أصناف الناس الذين سيرون النار، وتتجلى دقة التعبير النبوي في وصف الفراش والدواب التي تقع في النار تحقيراً لشأنها، اذ ان الفراش لا يسمى دواباً في العرف، وإنّما قصد ذكر الدواب لبيان جهلها.

وهذه الفراش والدواب اتّخذت وقوعها في النار ديدناً لها بدلالة قوله: ((**التي تقع في النار**)) وبالمثل العصاة الذين جعلوا اقتران المعاصي ديدنا لهم، اصراراً منهم على ارتكابها كالفراش يصرّ على اقتحام النار، وفي تكرار الصلة في قوله: ((**تقع في النار**)) يجعلها جواباً لفعل الشروع ((**تقع فيها**)) مما يشير إلى الاستسلام وعدم التدبّر لما هو معتاد، والنظر إلى ما يجره من الردى[٣].

ويتفق بريق ضوء النار مع طلب الفراش لضوء النهار ليلاً ((**فجعل الرجل**)) هكذا بإسراعه إلى إنقاذها لخوفه عليها بشروع يقابل شروعهم، فكان دأب الرجل ((**ينزعُهنَّ**)) ويكفّ الفراش عن إتباع مرادها باقتحام النار، وبالمثل رسول الله (ﷺ) كان دأبه ان يكف الناس عن إتباع شهواتهم بارتكابهم المعاصي – لكن الفراش والدواب ((**يغلبنه**)) ((**فيقتحمن فيها**)) وهنا تشكلت لدينا صورة تقابليّة قائمة على حركية الفعل ورد الفعل ابتداء من الوقوع مروراً بالزع والغلبة وانتهاءً بالقحم.

فـ (وَقَعَ): الوقوع: السقوط[٤].

و (زعَ): الزع زع الشيء جذبه من قعره[٥].

و (غَلَبَ): الغلبة : تدل على قوة وقهر وشدّة[٦].

---

(١) (الميداني، ١٩٨٥، ج١، ص٢٦١).
(٢) (العسقلاني، ١٩٥٩، ج٦، ص٤٦٤).
(٣) (السيد، ١٩٧٣، ص١٥٧).
(٤) (أبن فارس، ١٩٧٩، ج٦، ص١٣٣).
(٥) (الاصفهاني، د.ت، ص٤٩٠).
(٦) (أبن فارس، ١٩٧٩، ج٤ ، ص٣٨٨).

و(قَحَمَ): القحم: قحم نفسه قحوماً رمى بنفسه فيها من غير روية[١].

فالسقوط: حركة هابطة توحي على مستوى الدلالة بـ (الضعف، الخطر، الموت، التردي في الكفر أو الشرك...) وتوّلد هذه الحركة في المتلقي شعورا بالتوتر والمقاومة

النزع: حركة صاعدة فيها شد وجذب نحو الأعلى توحي على مستوى الدلالة بـ (القوة، العزة، الروحانية...)، وتولّد هذه الحركة في المتلقي شعورا بالراحة في النزوع إلى الأعلى لما في ذلك من التسامي أو العظمة.

الغلبة: حركة وفق المشهد المعروض فيها شدّة منتهاها السقوط

القحم: حركة هابطة أيضاً

الأخذ بالحجز = استعارة شبه فيها حالهُ (ﷺ) في منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل اخذ بحجزة صاحبه الذي يكاد يهوي في مهواة مهلكة حركة فيها جذب نحو الأعلى

فيصبح مسار الحركة الصاعدة مقاومة الجذب نحو الأسفل فيشكل قطباً مضاداً للحركة يوحي بالحياة مقابل الموت لان هذه الحركة تتطلب جهدا أقوى وأقسى واعنف من الجهد المبذول في الانحدار أو السقوط

=النتيجة (تقتحمون فيها)

السقوط (الأسفل) حركة هابطة

فثنائية (الأعلى / الأسفل) أضفت بعداً بصرياً على الأفكار المجردة وجعلتها مفهومة إذ نتيجة تلك الدوال الحركية هي عدم مفارقتهم للمعاصي، فمستوى التمثيل في الحديث ينطلق من مظهر "التجسيد الحركي الممتد، بحيث نجد حركة المعنى المجرد وقد اكتست صورة محسوسة متحركة وذات اتساع واضح وامتداد ملحوظ تكتمل بهما أفاق الحركة مع اكتمال ملامح الصورة"[٢].

فالمتلقي عندما يعقد مقارنة بين (الأعلى / الأسفل) بآلية التضاد سيعطي لنفسه مجالاً للتفكير بين الشيئين المتقابلين ليأتي بعد ذلك الحكم على أيهما أحق بالإتباع والاختيار[٣]، فثنائية (الأعلى / الأسفل) لها تأثير بالغ في تفكير الإنسان فكل ما هو إيجابي يتجه نحو الأعلى، وكل ما هو سلبي يتجه نحو الأسفل، وكل ذلك يرتبط بعقلية المتلقي وينبثق من تفاعله مع المحيط الفيزيائي، ونحن

(١) (نفسه ،ج٥ ، ص٦١).
(٢) (الخيرو، ٢٠٠١، ص٣٦).
(٣) (الخطاب، ٢٠٠٣، ص٤٢).

عندما نقول أن حركة النزع والأخذ بالحجز = أعلى، والقحم والسقوط = الأسفل، لم نقصد بالعلو والانخفاض الراجع إلى خط مستوى النظر بقدر ما هو راجع إلى مستوى حركية هذه الأفعال في التعبير عن الحالين المتقابلتين (الفعل ورد الفعل) بالنسبة لبعضهما، فبين الحالين تقابل حركي احدهما ينسحب نحو الأعلى والأخر يبتعد عن هذا المستوى. فضلا عن حركية الأفعال المضارعة ((**يقعن، يحجزهن، يغلبنه،يقتحمن، تقتحمون**)) التي تبعث الروح في النص بدلالتها على الاستمرار واستحضار الموقف، فالوصف بالمضارع "يصور الماضي والمستقبل صورة الحاضر الماثل وحال ذلك الرجل الذي يغالب ويمنع هؤلاء وتلك المخلوقات من عدم السقوط، والتهافت في هاوية المعصية" [١].

قصة العلم والهدى

عَنْ أبِي مُوسَى الأشعَرِي (ﷺ) عَن النّبي (ﷺ) قالَ: ((**مَثَلُ ما بَعثَنَي اللهُ بهِ مِنْ الهَدى والعِلمِ كمثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ ارضاً فكانَ منها نقيّةٌ قبلتْ الماءَ فأنبتتْ الكلأ والعُشبَ الكَثيرَ وكانتْ منها أجادِبُ أمسكتَ المَاءَ فنفعَ اللهُ بهِ النَاسَ فشَربوا وسَقوا وزَرَعُوا وأصابتْ منِها طائفةً أخرى إنّما هيَ قيعانٌ لا تمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كلأً فذلِك مَثَلُ مَنْ فقِهَ في دينِ اللهِ ونَفعهُ مَا بَعثَني الله به فعَلِمَ وعلَّم ومَثَلُ مَنْ لمْ يَرْفعْ بذلِكَ رأساً ولمْ يَقبلْ هُدى اللهِ الذي أرسِلتُ بهِ**))[٢].

جاء التشبيه التمثيلي بشكل قصصي شُبّهت فيه الصورة الذهنية الحاصلة من بعث الرسول (ﷺ) بوحي الله وانقسام الناس حول ما جاء به ما بين مؤمن به عامل بكل ما فيه حسب طاقته وعالم بشرعه، ومؤمن مقصّر عالم قليل العمل، وقسم كافر معرضٌ عن الحق لا يعلم ولا يعمل وقد أوضحت هذه القصة هذه الأقسام بالصورة الحسية الحاصلة من نزول الغيث على الأرض والانقسام إلى أقسام ثلاثة[٣]:

• **أرض نقيّة قبلت الماء وارتوت فانبت ما يحتاج إليه الناس من الكلأ والعشب الكثير.**	**= النافع المنتفع =**	**العالم العامل المعلم غيره.**
• **أرض أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ولكن لم ينبت الكلأ ولا الشجر.**	**= النافع غير المنتفع =**	**الجامع للعلم الذي يشغل زمانه فيه، المعلم لغيره لكنه لم يعمل بعلمه ولم ينتفع به.**
• **قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ فأضاعت الماء فلم تنبت ولم تمسك**	**=غير النافع وغير المنتفع =**	**من يسمع العلم فلا يحفظه، ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره.**

(١) (الخيرو، ٢٠٠١، ص٣٦).
(٢) (البخاري، ٢٠٠٢ ، ص٢٨)، كتاب العلم، باب في فضل من عَلم وعلَم رقمه (٧٩).
(٣) (لاشين ، ٢٠٠٢، ج٩، ص١٠٧ – ١٠٨).

وإذا ما أردنا التعرف على صفات الأصناف الثلاثة من الناس علينا أن ننطلق من (المكان) فهو في الحديث حامل لمعنى وحقيقة أبعد من حقيقته الملموسة من خلال الوصف المقدّم فقد شكل المكان الافتراضي - أن صح تعبيرنا - بنية حية مؤثرة لها خصوصيتها الفكرية، والمكان الذي نعنيه ليس المكان المفرّغ إنما المكان الفاعل الذي يشكل مركز الحدث ويمنح ما يقابله من أصناف الناس الثلاثة هويّة، فضلاً عن كونه يقدّم حالة من الإحساس البصري للمتلقي كي يتمكن من تصوير هذه الأصناف الثلاثة، فيحدث نوعا من الترابط أو الاتصال الذهني بين النص بما يثيره في نفس المتلقي من رهبةٍ أو رغبةٍ إذ يعتمد المتلقي على ربط حيثيات المكان الافتراضي الموصوف بمدركاته الخارجية وما يعيه من معالم الدنيا.

وكما هو معروف فالبشر يتفاوتون في مستوى الإدراك الذهني للأشياء التكوينية أو الحسية التي يصّورها النص النبوي حول موقف الناس من دين الله وتختلف درجات الاستيعاب للمضامين الفكرية من فرد إلى أخر تبعاً لحدود النظر وحجم الرؤية للمكان لذا جاء النص النبوي مخاطباً العرب بأسلوب منسجم مع مفهوماتهم وأحوالهم، ومتناول إدراكهم وحسهم، وكل ما ورد فيه على سبيل التقريب، مستخدما عليه الصلاة والسلام التمثيل إذ جعل الصورة البيانية وعناصرها مقتبسة من البيئة التي عاش فيها الصحابة رضوان الله عليهم، فالمتلقون يعرفون قيمة الغيث والعشب والكلأ، فتركت هذه الصورة أثرا عميقا في النفوس وجلت لهم المعنى كاملاً.

وقد جاءت القصة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ((مَثَلُ ما بَعثَني اللهُ بهِ مِنْ الهَدى والعلِم كمثلِ الغيثِ الكثير أصابَ ارضاً...))

فقد سلك الرسول (ﷺ) في عرض النص طريق الإجمال الذي يتبعه تفصيل، إذ جاء الإجمال لإثارة الانتباه وإدراك التفصيل، مما يدل على تماسك النص وترابطه، لاسيما الربط بين الهدى والماء لأنهما ضروريان لحياة الإنسان[١]، وقد قدّم الأهم ((**الهدى**)) على المهم ((**العلم**)) وذلك لان الإسلام يصل بالمرء إلى أعلى مراقي الصلاح والفلاح، وجاء عطف العلم على الهدى من عطف المدلول على الدليل لان الهدى هو الدلالة الموصلة للمقصد العلم وهو المدلول[٢]، ومن ثم ينطلق به إلى ما يساند فكره إزاء تخرصات الاتجاهات الفكرية الأخرى، وقد عبر عن الخيرية العالمية التي يحملها الإسلام من خلال تشبيهه بالغيث الكثير، إذ شبه ما أُعطِيَ الرسول (ﷺ) من أنواع العلم والمعرفة والوحي الخفي والجلي بالماء النازل من السماء في التطهير والنزول من العلو إلى الأسفل، وجاء اختيار الغيث لأنه يأتي دائما ملائما ونافعا غير مؤذ، ومن صفات هذا الغيث (الإشباع) إذ أصاب ارضاً مما يفيد التبليغ وقد عّبر بالقول ((**بعثني... أصاب**)) دلالة على الحركة ونهايتها من الله إلى باطن القلوب المجسمة في عملية الغيث، وفي تنكير ((**أرضاً**)) دلالة على تنوعها[٣].

(١) (الصباغ، ١٩٨٢، ص٨٤ – ٨٥).
(٢) (القسطلاني، ١٩٠٣، ج١، ص١٧٨).
(٣) (لاشين، ٢٠٠٢، ج٩، ص١٠٦).

القسم الثاني: **((فكانَ منها نقيّةٌ قبلتْ الماءَ فأنبتتْ الكلأ والعُشبَ الكَثيرَ وكانتْ منها أجادِبُ أمسكتَ المَاءَ فنفعَ اللهُ به النّاسَ فشَربوا وسَقوا وزَرَعُوا وأصابتْ منِها طائفةً أخرى إنّما هيَ قيعانٌ لا تمسِكُ ماءً ولا تُنْبتُ كلأً...))**

فهذا القسم امتداد للقسم الأول في تكرار ((**الماء**)) لكنه جاء هنا كنتيجة من حيث تقبل الأرض وجمعه لنفع الناس والحيوان متدرجاً على سبيل التصعيد من الأعلى إلى الأسفل في التقبل وعدمه (الإنسان – الحيوان – النبات) وضم هذا القسم صوراً ثلاث[١]:

صورة أرض قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير إذ تحولت الأرض إلى إنسان يقبل ويرفض وبعد تناسي التشبيه وادعاء ان المشبه هو فرد من أفراد المشبه به استعار الرسول (ﷺ) في نفسه لفظ (الإنسان) للأرض، ثم حذفه ودل عليه بذكر بعض خواصه وهو (القبول) الذي اثبته للأرض على سبيل الاستعارة المكنية، وفي هذا مبالغة في نقائها وسرعة الاستجابة وامتصاصها للماء، وليس هذا فحسب بل ان التشخيص امتد إلى عملية الإنبات إذ اسند الإنبات إلى ضمير الأرض، والحقيقة أن المنبت هو الله تعالى، وذلك للمبالغة في نقاء الأرض وجودتها كأنها هي التي تنبت، ويقابل هذه الصورة **صورة** الأرض الاجادب التي أمسكت الماء ومن البلاغة في هاتين الصورتين إيجاز الحذف بطريق الاحتباك فقد حذف من الأول ما اثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما اثبت نظيره في الأول، ففي قوله (ﷺ)((**فكانَ منها نقيّةٌ قبلتْ الماءَ فأنبتتْ الكلأ والعُشبَ الكَثيرَ**)) أي ((**فنفعَ اللهُ به النّاسَ فشَربوا وسَقوا وزَرَعُوا**)) ولكنه حذف هذه العبارة في تلك الفقرة لوجود نظيرتها في الفقرة التي تليها وهي: ((**وكانتْ منها أجادِبُ أمسكتَ المَاءَ ، فنفعَ اللهُ به النّاسَ فشَربوا وسَقوا وزَرَعُوا**)) وحذف منها قوله: ((**فلم تنبت الكلأ والعشب**)) لوجود نظيرتها في الفقرة الأولى وهي قوله: ((**فأنبتتْ الكلأ والعُشبَ الكَثيرَ**)) وهاتان الصورتان تشكل تقابلاً مع **صورة** ((**إنّما هيَ قيعانٌ لا تمسِكُ ماءً ولا تُنْبتُ كلأً**)) فهذه القيعان لا تمسك ولا تنبت فالوصف بالنفي الذي لا يكون إلا مع التكرير بالعطف يكون فيه النفي أوقع من الإثبات لأنه يميز له الوصف وتوكيده[٢] فقوله ((**لا تمسِكُ ماءً**)) يوهم انها قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب فدفع هذا الايهام بقوله((**ولا تُنْبتُ كلأً**)) وهو ما يسمى بالاحتراس.

وجاءت هذه الجملة توكيدا لقوله ((**إنّما هي قيعان**)) ولهذا بين الجملتين كمال الاتصال ومن ثم فصل بينهما، ومما زاد الموقف شدّةً القصر بـ ((**إنّما**)) أي ما هي إلاّ قيعان وعبر بـ ((**إنما**)) لأنها لا تجئ إلا فيما هو معلوم تستعمل فيما يعلمه المخاطب ولا ينكره لان المقابل لها في المثل هو (قلوب الكفار) [٣]، يعني أن كونها قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ أمر معلوم لا ينكره أحد بالمثل، وان كونها لم تقبل هدى الله أمر معلوم لا ينكره أحد ولا جدال فيه، فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فلم يرفع لهم رأسا ولم ينالوا شرف الانتساب إلى الإسلام.

---

(١) (النووي، ١٩٢٩، ج١٥، ص٤٧-٤٨).
(٢) (الأنصاري، ١٩٨٧، ج١، ص٢٤٢).
(٣) (العيني، ٢٠٠١، ج٢، ص١١٨).

القسم الثالث: ((**فذلِك مَثلُ مَنْ فقِهَ في دينِ اللهِ ونَفعهُ مَا بَعثني الله به فعَلِمَ وعلَّم ومَثلُ مَنْ لَمْ يَرْفعْ بذلِكَ رأساً ولمْ يَقبلْ هُدى اللهِ الذي أرسِلتُ بهِ**)).

إذ نجد فيه التعبير بـ ((**فقه**)) للدلالة على ما يجب ان يكون عليه المسلم من الفهم الدقيق للإسلام وقد وظف الرسول (ﷺ) لفظة ((**فقه**)) إذ صار الفقه له سجية وطبيعة، فهذه اللفظة يراد بها الفهم ومدح من يتعلم أمر دينه ولا يخلو من التعجب به[١]، كما انه من الاسترجاع إلى القسم الأول بعد تقديم الصورة الحسية تفسير المعنى[٢]، ويتجلى ذلك في تكرار كلمة ((**مثل من**)) بالعطف، وبابتداء هذا القسم باسم الإشارة ((**فذلك**)) فيه استحضار المشاهد السابقة وتفسير الأمر العقلي بالمجرد والمُحسّ، ويقوي هذا المعنى التقابل بين الفقه والعلم والكناية الحركية في قوله: ((**ولم يرفع بذلك راساً**)) فالرأس اشرف أعضاء الجسد وفيه ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات وهو العقل وفي ذلك إشارة إلى الكفار لأنهم في سبات عميق فقد اخلدوا إلى الأرض، مما يؤكد أن التفقه فيه علو وترقع وفي الجهل والكفر تدنٍّ وهبوط[٣] .

وجميع هذه الصور جاءت في بنائها التركيبي قائمة على (اللف والنشر) إذ قسّمت الأقسام تقسيما حسناً، ثم اتبع كل قسم ما يخصّه، فذكر اختلاف الأراضي في تقبل الماء، ثم اتبعها باختلاف الناس في قبول الهداية، فهو تمثيل لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل (الأرض) لما يرد عليه من الخير مع ظهور إماراته وانتشارها على وجه عام وهو الثمر، ولا يخفى ان هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة ويجوز ان يشبه انتفاعه بقبول الأرض الماء ونفعه بإنباتها الكلأ والعشب والأول أجزل لان في الهيئات المركبات لها من الوقع في النفس ما ليس في المفردات في ذواتها من غير نظر الى تضامّها ولا التفات الى هيئتها[٤]. وقد تراوحت الجمل في الحديث بين الطول والقصر، لإفادة توزيع الفكرة وتقسيمها وغلبة الجمل الفعلية الموائمة للتفاعل البشري مع الإسلام، والغالب عليها الزمن الماضي الذي يشير الى حتمية التحقيق، فضلا عن التوازي الحاصل بين ((**لا تمسك**)) و ((**لا تنبت**)) و ((**قبلت الماء**)) و ((**امسكت الماء**)) والتقابل في كل ذلك شكل طابعا موسيقيا لتقسيم الفكرة مما يرسم إصراراً على المعنى. والبناء في القصة من النوع الدائري المغلق الذي ينتهي بالمعنى الذي بدأ به فقوله: ((**مَثلُ ما بَعثني اللهُ بهِ**)) فاتحة النص، ثم ختمه بقوله : ((**هُدى اللهِ الذي أرسِلتُ به**))، فجاء النص محققاً وحدته العضوية من البداية الى النهاية محققاً ترابط الجزيئات خلالها بصورة غاية في الإحكام، محققاً فيه حسن الابتداء وحسن الختام. فهذا المثل الرائع جلّى المعاني الخاصة بالانتفاع بالهدى والعلم جلاءً مؤثرا، وأضاف إلى الحقيقة الفكرية بمدلولاتها الثلاثة صورة تثير المتلقي من خلال المقارنة بين المشبه والمشبه به متخذا (ﷺ) الإدراك البصري للمعنى طريقا للوصف

(١) (اسماعيل، ٢٠٠٢، ص٨٣).
(٢) (بيومي، ١٩٨٧، ص٢٣٤).
(٣) (نجاتي، ٢٠٠٦، ص٢٥٧).
(٤) (القسطلاني، ١٩٠٣، ج١، ص١٧٩).

فـ " أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع" (١) فهدفت هذه العملية إلى مقارنة تفاضلية بين الأصناف الثلاثة وهذه المقارنة تسير على وفق ثلاثة خطوط:

- تحسس الفوارق المكانية بين ٢/١ وما يقابلها ٣.
- الصراع النفسي للمتلقي ما بين الاستجابة إلى ما بُعِثَ به الرسول (ﷺ) أو عدم الاستجابة.

الصراع العقائدي فالتقابل بين ٢/١ و ٣ ينزع نزوعاً كبيراً إلى التباعد تعبيراً عن هذا التفاوت بين الأصناف الثلاثة، وهذا التفاوت يمثل الطابع الأساسي والجوهري في التقابل بين الطرفين وهو صراع يعتمد البرهنة من خلال عرضه بطريقة القصة التمثيلية للتأثير في المتلقي، فَفَتَك الأذهان لفهم تباين المواقف وأسبابه استنباطاً من تباين أحوال الأرض مع الغيث وأسبابه.

وفي الختام نقول:

إن ارتباط البلاغة بالنص القصصي يحيل إلى وظيفة جديدة للبلاغة هي تحليل النص بدل إنتاجه من خلال تتبع الطريق الذي يسلكه الخطاب من النص عبر الفهم إلى الفعل ، فقد اعتمد الرسول (ﷺ) في دعوته على ركيزتين أساسيتين هما:

- الإقناع العقلي، وإيقاظ الشعور والعاطفة لدى المخاطبين، فاستعان عليه الصلاة والسلام بكل الوسائل والأساليب الممكنة للوصول إلى الإقناع ومن هذه الوسائل إنتهاج النهج القصصي للوصول إلى هذين الهدفين وذلك لما تتمتع به القصة من تجسيم للمجردات والمعنويات، وعرضها بصورة محسوسة وملموسة، يرتضيها العقل والمنطق، ويأنس لها الشعور والوجدان، فضلاً عما تتركه في نفس المتلقي من أثار نفسية عميقة قلّ أن يصل إلى مثلها لون آخر من ألوان البيان. فجاء استخدام الرسول (ﷺ) للقصة كأسلوب من أساليب الدعوة يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة (ﷺ) من رعيل الإسلام الأول، ويوجههم إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور، وطريقة في السلوك.

والقصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطا إسلوبيا لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان، فكانت الصفة الجامعة بين طرفي التشبيه أقوى في المشبه به من المشبه، فضلا عن قيامها على التشخيص العياني المعتمد على التقديم الحسي للصور الذهنية، والذي من شأنه إثارة نوع من التوكيد في نفس المتلقي، فضلا عن تزويده بالقدرة الحقيقة لإثارة انفعالاته.

- استخدم الرسول (ﷺ) الوصف الاستدلالي بالقصة التمثيلية كوسيلة تقديرية لإثبات الحقائق، بتشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، ففي التمثيل إقامة دليل على ادعاء ما من أجل البرهنة على صحة هذا الادعاء، وتقدير ثبوته للمتلقي بأسلوب الإثبات المادي الذي يخاطب العقل، أي إن للقصة التمثيلية وظيفة استدلالية استكشافية ، إذ يتم الانتقال في التشبيهات من الصورة البسيطة التركيب إلى الصورة الأكثر تركيباً وتعقيداً تدرجاً في إقناع النفس وتلاؤماً مع

(١) (القيرواني، ١٩٦٤، ج٢، ص٢٩٤).

تكاثف الأحوال ووفرة المعاني. متخذا الرسول (ﷺ) الجدل القائم على الثنائيات المتقابلة سبيلاً في وصف الأحداث في القصة عن طريق عرض فكرتين متضادتين، فينتج للعقل فرصته لتدبر البلاغة المتأتية من هذا التقابل وإبراز ما فيها من جوانب تخفى عن المتلقي فيما إذا ما عرضت بطريقة سردية مباشرة، لأن جمال الشيء الحسن يظهر حين يقابل بسوء الضد القبيح.

المصادر والمراجع

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد. (١٩٧٩). مقاييس اللغة. د.ط. القاهرة. مصر.
- أبن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (١٩٩٤). لسان العرب. ط٣. بيروت. لبنان.
- أحمد، سعد عبدالرحيم. (١٩٩٨). "التشبيه النبوي الشريف-. دراسة في متن صحيح البخاري". رسالة ماجستير. كلية التربية. جامعة الموصل. العراق.
- الاصفهاني، الراغب. (د.ت). المفردات في غريب القرآن. د.ط. بيروت. لبنان.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. (٢٠٠٢). صحيح البخاري. ط١. المنصورة. مصر.
- الجابري، محمد عابد. (٢٠٠٠). بنية العقل العربي. ط٦. بيروت. لبنان.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). أسرار البلاغة. د.ط.
- الجهاد، هلال. (٢٠٠٧). جماليات الشعر العربي- دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي. ط١. بيروت. لبنان.
- حمزاوي، يزيد. (٢٠٠٦). "المدلولات التربوية للأمثال القرآنية- دراسة تحليلية". رسالة ماجستير. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. الجزائر.
- الخطاب، أسماء سعود. (١٩٩٨). "الجناس في القرآن الكريم". رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة الموصل. العراق.
- الخطاب، أسماء سعود. (٢٠٠٣). "التقابل الأخروي في صورة الواقعة – دراسة بلاغية وصفية- بحث". مجلة آداب الرافدين. (١١).
- خواجه، عبدالعزيز. (٢٠٠٧). أنماط العلاقات الاجتماعية في النص القرآني. ط١. دمشق. سوريا.
- الخيرو، مازن موفق صديق. (٢٠٠١). "الصورة الفنية في الحديث النبوي – صحيح البخاري". رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة الموصل. العراق.
- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى. (١٩٧٨). النكت في إعجاز القرآن. ط٢. القاهرة. مصر.

- سعدالله، محمد سالم. (١٩٩٩). "أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني- دراسة سيميائية". رسالة ماجستير. كلية الاداب. جامعة الموصل. العراق.
- السيد، عز الدين علي. (١٩٧٣). الحديث النبوي من الوجهة البلاغية. د.ط. القاهرة. مصر.
- شهاب، هناء محمود. (١٩٩٥). "أساليب الطلب في الحديث النبوي- دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري". اطروحة دكتوراه. كلية الآداب. جامعة الموصل. العراق.
- الصائغ وآخرون، عبد الإله. (١٩٨٥). الشريف الرضي – في ذكراه الألفية. د.ط. بغداد. العراق.
- صالح، فائزة سالم. (٢٠١٠). تأملات بلاغية في التشبيه التمثيلي في الصحيحين. ط١. جدة. السعودية.
- الصباغ، محمد لطفي. (١٩٨٢). الحديث النبوي- مصطلحه- بلاغته- كتبه. ط٤. بيروت. لبنان.
- الصغير، محمد حسين علي. (١٩٨٦). أصول البيان العربي. رؤية بلاغية معاصرة. د.ط. بغداد. العراق.
- العايش، عايش محمود. (١٩٨٥). "مختارات عبد القاهر الجرجاني- دراسة نقدية في ضوء فكره النقدي". رسالة ماجستير. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة اليرموك. الأردن.
- العسقلاني، أبن حجر. (١٩٥٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري. د.ط. بيروت. لبنان.
- عصفور، جابر. (١٩٧٤). الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي. د.ط. القاهرة. مصر.
- عيد، رجاء. (د.ت). فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور. د.ط. الاسكندرية. مصر.
- الغزالي، شعيب بن أحمد بن محمد. (٢٠٠٥). "مباحث التشبيه والتمثيل في تقسيم والتحرير والتنوير لابن عاشور". اطروحة دكتوراه. كلية اللغة العربية. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. السعودية.
- القرطبي، أبو العباس احمد بن عمر. (٢٠٠٥). المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم. ط١. الرباط. المغرب.
- كيرزويل، أديث. (١٩٨٥). عصر البنيوية من ليفي ستراوس إلى فوكو. د.ط. بغداد. العراق.
- الميداني، أبو الفضل احمد. (١٩٨٥). مجمع الأمثال. ط١. بيروت. لبنان.
- نقرة، التهامي. (١٩٧٤). سيكولوجية القصة في القرآن الكريم. ط١. تونس.